Dr. Eng.
Nader Riad

الانتخابات الألمانية ومسيرة الصداقة مع مصر

يبدو أن شهر سبتمبر ٢٠٠٥ قد أتي محملاً بالعواصف الانتخابية حيث شاءت الصدف أن تجري انتخابات الرئاسة في مصر والانتخابات الحزبية في ألمانيا والتي تؤهل للانتخاب علي منصب المستشار في ألمانيا في وقت متزامن .

وبرغم اختلاف الغرض ونوعية المعركة الانتخابية وطبيعة الخلافات الحزبية في كل من الدولتين إلا أنني أجد تشابهاً في بعض الجوانب .

فعلي صعيد المعركة الانتخابية في مصر فان فتح الباب أمام الاختيار الحر من بين أكثر من مرشح حزبي - واحد عن كل حزب – ليحسم عن طريق الناخب بإرادة حرة ودون شبهة تدخل أو تأثير قد أحدث حالة من المفاجأة بين الأحزاب المختلفة التي لم تكن مستعدة لهذه الخطوة سواء بمرشحين لهم شعبية ترقي لمستوي المنافسة أمام الرئيس مبارك أو ما لديهم من البرامج الحزبية الذين يستطيعون الدخول بها واكتساب أرضية عمل وطني تصلح لكسب الأصوات ، وهو الأمر الذي كانت نتيجته الحاسمة لصالح الرئيس مبارك والحزب الوطني الديمقراطي .

أما علي الصعيد الألماني فان التفاوت بين الحزبين اللدودين الكبيرين – الحزب الاشتراكي الديمقراطي ويرأسه شرودر والحزب المسيحي الديمقراطي وترأسه أنجيلا ميركل- بمقياس الشعبية الانتخابية لا يعتبر كبيراً بحيث جري العرف أن تحسم المعركة الانتخابية بفعل أصوات غير منتمية لأي من الحزبين وذلك تحمساً لبرنامج احديهما أكثر من الآخر حبذا في الشئون المتعلقة بالضرائب والتعليم وتشغيل العاطلين وهي أمور محورية تسيطر علي وجدان العقلية الألمانية .

وقد انتهت الانتخابات الألمانية في مرحلتها الحالية بفوز ضعيف لا يتعدى ٣% نسبة تفوق لصالح الحزب الذي ترأسه السيدة أنجيلا ميركل CDU/CSU علي حزب SPD الذي يرأسه جيرهارد شرودر ، إلا أن هذا الفوز الضعيف لا يؤمن لأي من الحزبين نصراً أو هزيمة بمقياس التشكيل الحكومي ومن ثم اختيار شخصية المستشار الألماني ، إذ أن السياسة الألمانية درجت علي اختيار نمط الائتلاف الحكومي بين أكثر من حزب اكتساباً لأغلبية برلمانية ناجمة عن هذا الائتلاف تؤمن له أغلبية برلمانية تساعده علي تطبيق سياساتها أمام التجمع البرلماني المعارض وهو ما حدث في الدورتين الأخيرتين لحكم المستشار جيرهارد شرودر حيث شكل ائتلافا وزارياً جمع الحزب الديمقراطي المسيحي وهو ما يسمي بالحزب الأحمر وحزب الخضر والذي يتميز أيضا بلونه الأخضر .

وقد دارت مجموعة من السيناريوهات كنتيجة للانتخابات في ضوء تقارب الحزبين الكبيرين بميزان القوي الانتخابية ، فهناك رأي توقع أن يأتلف الحزبان الكبيران ليشكلا أغلبية برلمانية ساحقة ، ومع تمسك كل من شرودر ومنافسته ميركل بمنصب المستشارية ، طرح احتمال أن يتولى كل منهما منصب الاستشارية نصف المدة إلا أن هذا التصور قد تم تنحيته جانباً لاختلاف البرنامج الحزبي لكل منهما عن الآخر مما يصعب معه عمل برنامج حزبي توفيقي يجمع بين الحزبين دون أن يؤدي ذلك إلي سخط الناخبين الذين أدلوا بأصواتهم في ظل توجه مخالف .

وتدور الاتصالات الآن علي قدم وساق لكل من الحزبين الكبيرين علي حدي مع الأحزاب الأخرى الأقل حجماً في محاولة لتكوين أغلبية برلمانية تشكل ائتلافاً حكومياً يتوافق مع برنامج أي من الحزبين مع الأحزاب التي يأتلف معها .

ومن الناحية الحسابية فان الحزب الأحمر إذا تآلف مع حزب الخضر وضم إليه الحزب الألماني الحر والذي تميز باللون الأصفر فان هذا يشكل ائتلافاً قوياً تدعمه أغلبية برلمانية كافية لنجاح حزب شرودر والذي سيبقي مستشاراً لفترة قادمة في هذه الحالة ، إلا أن هذه الحقيقة ليست بخافية عن الحزب المسيحي الديمقراطي حيث تسعي السيدة أنجيلا ميركل لاستقطاب حزب الصفر FDP وفي هذه الحالة ستحسم المعركة لصالحها وتصبح أول سيدة تتولي منصب المستشارة في الحكومة الألمانية .

والجدير بالذكر أن الانتخابات الألمانية تمت في جو يسوده الوعي السياسي العميق من جانب المواطن الألماني إذ تعدت نسبة من أدلوا بأصواتهم أكثر من ٧٠% من مجموع الناخبين مقارنة بنسبة ٥٠ % للانتخابات السابقة ، الأمر الذي يعد من اعلي النسب ليس فقط في ألمانيا بل في أوروبا علي الإطلاق .

وإذا نحينا السياسة والانتخابات الألمانية جانباً والتي ينتظر لمعركتها أن تحسم في غضون الأسابيع القادمة فان العلاقات الألمانية المصرية الراسخة القدم لا ينتظر لها أن تشهد أية أنواء تنل من رصيدها من الصداقة والاحترام المتبادل وكذا التعاون البناء في مختلف المجالات في ظل أية حكومة ألمانية جديدة .

وإذا تابعنا تاريخ هذه العلاقة منذ أن أصبحت ألمانيا دولة مستقلة لها ريادتها الاقتصادية ، وعلي توالي صناع سياستها من مختلف المستشارين فان تلك العلاقة دأبت علي اكتساب القوة بصورة مطردة .

وليس أدل علي هذا أننا في خضم الانتخابات فان المؤتمر الألماني للتكنولوجيا يتم انعقاده بالقاهرة من ٢ إلي ٤ أكتوبر ويفتتحه رئيس الوزراء ويشهده ١٥٠ رئيساً لشركات ألمانية وأكثر من ٣٥٠ من رجال الأعمال والصناعة المصريين ويتحدث فيه أربع وزراء مصريين .

ومن المعروف مسبقاً أن اوروبا قد خصصت أكثر من مليار يورو لمصر تشارك فيه ألمانيا بالنصيب الأكبر يخصص لدعم مجالات تطوير الصناعة ودعم الجودة وتنشيط الصادرات المصرية وتأهيل الكوادر الصناعية ونقل التكنولوجيا والبحوث العلمية والتطبيقية المشتركة في مجالات الزراعة والبيئة وكذا مجال الطاقة النظيفة والمتجددة من الرياح وأشعة الشمس وهي من مجالات صناعة المستقبل للدولة العصرية.

ورغم أننا نري أن سفينة الصداقة المصرية الألمانية هي الأعرق والأكثر ثباتاً عبر العصور في بحر العلاقات المصرية الألمانية ، إلا أننا علي ثقة أن لهذه السفينة ما يرسخها ويشد من أزرها رغم ما يكتنف بحر العلاقات الدولية من أنواء وتشابكات ، إلا أن هذه السفينة ستبقي آمنة بفضل الرعاية الجيدة التي تكفلها لها كل من مصر وألمانيا بنفس القدر من الحرص والفهم والقدرة علي استقراء الأحداث .